التعريب والمصطلح

شحادة الخوري*

1- قضية التعريب:

من طبيعة الأمور أن تكون اللغة العربية، اللغة الأم، أداة التفكير والتعبير في مختلف مجالات الحياة في الوطن العربي، الثقافية والاجتماعية، وعلى الأخص لغة التعليم والتعلم، بيد أن ظروفاً معينة جعلت اللغة تحل محل اللغة العربية فتستخدم، كلياً أو جزئياً، في بعض مجالات التعليم كتعليم المواد العلمية والاجتماعية في التعليم العام في بعض البلدان العربية، وتدريس العلوم الأساسية والتطبيقية وبعض مواد العلوم الاجتماعية والإنسانية في الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة، في عدد غير قليل من هذه البلدان، كما جعلتها شريكة العربية ومنافستها في بعض القطاعات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية.

إن هذه الظاهرة لم تنشأ مصادفة، بل أملاها وجود سلطة أجنبية في بعض البلدان العربية، أرادت أن تدعم نفوذها السياسي وتسلطها الاقتصادي والاجتماعي، بهيمنة ثقافية ولغوية تضعف روح المقاومة الوطنية وتزين المستعمر في عيون أبناء الأمة العربية وتظهره في صورة المتفوق علماً ومعرفة.

ولكن الملاحظ أن هذه الظاهرة التي برزت في وقت ما بفعل الحكم الاستعماري قد استمرت بعد زواله ونيل البلدان العربية استقلالها، لقد زال السبب وبقي أثره، بل ابتدعت ذرائع واهية لتسويغ بقاء هذا الأثر.

ولذا كان لزاماً على أبناء الأمة، وعلى الأخص، أولياء الأمر ورجال الفكر والثقافة والأدب أن يزيلوا هذه الظاهرة ويحلوا العربية المكانة اللائقة بها في أرضها وبين أهلها، ولا سيما أنها تملك من الخصائص الذاتية والقدرة التعبيرية والقابلية للنماء والتطور ما يؤهلها أن تكون لغة المستقبل ولغة العلم والتقانة المتطورة مثلما كانت لغة الماضي ووعاء ثقافة روحية وأدبية وعلمية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً.

---

* شحادة الخوري الخبير السابق في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

2- معنى التعريب:

وإذا كان التعريب قد غدا أمراً ضرورياً مندوباً إليه، لرد الأمور إلى مسارها الطبيعي، فمن المفيد أن نحدد المقصود منه.

إنه مصدر عرَّب بالتضعيف، وفي المعجمات عرب فلان منطقة من اللحن: خلصه، وعرب الاسم الأعجمي تفوه به على منهاج العرب، وقالوا: أعرب الأعجمي وتعرَّب واستعرب إذا فهم كلامه بالعربية.

وقد استخدمت كلمة التعريب للدلالة على معانٍ عدة، وذلك حسبما تضاف إليه.

- فتعريب اللفظ هو التفوه باللفظ الأعجمي على منهاج العرب في النطق والوزن، فقالوا قديماً: (الإبريق والسندس والديباج والفردوس والقنطار والترياق والناقوس والناطور والسوسن والفلسفة والجغرافيا...) وقالوا حديثاً: الإلكترون والراديوم، والكالوري والترام والتلفزة...).

وقد أجازت مجامع اللغة العربية هذا الافتراض عند الضرورة واشترطت مراعاة الأصوات والصيغ العربية، وإلاّ كان اللفظ المقترض دخيلاً كقولنا: (إهليلج وتلفزيون...).

- وتعريب النص نقله من إحدى اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وهذا بمعنى الترجمة، ويقابله التعجيم أي النقل من العربية إلى لغة أجنبية. وقيل إن تعريب النص يعني ترجمته بصورة تجعله كأنما كتب بالعربية أصلاً.

ويأتي التعريب بمعنى وضع المصلح، فنعرب مصطلح البورصة فنقول: السوق المالية، والتعريب هنا يعني إيجاد المقابل الملائم لمصطلح أجنبي.

- وتعريب المجال أو الموضوع يعني جعل اللغة العربية أداته التعبيرية كتعريب التعليم أو القضاء أو الإعلام، وهذا هو المعنى المقصود في بحثنا هذا.

بيد أن هذه المعاني جميعها مترابطة يجمع بينها إكساب الشيء الصفة العربية، وهي كذلك مفهومات متكاملة إذ يستدعي كل مفهوم توافر الآخر، فلا تعريب للتعليم مثلاً إلاّ بتعريب اللفظ والنص، ولا نشاط في وضع المصطلح ونقل المعارف إلى العربية إلاّ في أجواء التعريب الشامل للمجتمع.

وهذه المعاني بدورها تصبُّ في غاية أعمق غوراً وأبعد مدى ألا وهي تعريب الإنسان العربي بالمفهوم السياسي والحضاري أي حمايته وجعله في منأىً ومنجىً من التغريب أو التغرب أي الانسياق وراء النمط الغربي في النظر إلى الأمور، والتغافل أو الغفلة عن القيم الروحية والأخلاقية والثقافية التي تشكل نسيج هويتنا، وعن مصالح وتطلعات أمتنا العربية في الحاضر والمستقبل... إن التغريب أو التغرب والاغتراب هو استلاب

للإنسان العربي وضياع مريع له ووقوعٌ في شراك التطبيع التي نشهد نشاطاً محموماً لحبكها هذه الأيام.

قال المفكر العربي الكبير محي الدين صابر المدير العام السابق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معبراً عن ذلك: "إذا كان التعريب بمعناه المباشر يعني سيادة العربية على ساحة الوطن العربي، فإنه يعني كذلك التخلص من التخلف والتحرر من التبعيات الثقافية والاقتصادية والسياسية ".

أجل إن التعريب هو السبيل إلى أن نكون "نحن" بسماتنا وخصائصنا وتراثنا وآمالنا ومستقبلنا، لا "ظلاً للآخرين" إنه شأن لغوي وفي الآن نفسه شأن إنساني حضاري.

3- دواعي التعريب وفوائده:

ولكن هل ثمة ما يدعو إلى التعريب ويلح على إنجازه؟ أجل، هذه هي أهم دواعيه:

1. العامل النفسي التربوي: إننا نعيش اللغة العربية منذ طفولتنا، فهي تخالط الشعور والفكر، نألفها منذ الصغر ونأنس بها. إنها ليست شيئاً منفصلاً عنا أو مضافاً إلينا، بل هي جزء من كياننا النفسي، قَدَرُنا.

   إذا سمعنا نصاً من نصوصها فهمناه واستوعبناه وتمثلناه بيسر، والتمثل الصحيح هو السبيل إلى الكشف والابداع.

2. العامل الاجتماعي المهني: إن المتعلم والمتخصص هو واحد من أفراد المجتمع العربي الناطقين بالعربية، والعربية هي سبيله إلى التفاهم ثم التعاون مع زملائه وأعوانه وأفراد المجتمع جميعاً، وبدونها يكون في غربة عن كل هؤلاء.

   إن التعليم بالعربية، في جميع درجاته، شرط من شروط ديمقراطية التعليم.

3. العامل القومي الحضاري: إن اللغة العربية هي مستودع ثقافتنا ووعاء تراثنا الخلقي والأدبي والعلمي، وهي الجسر الواصل بيننا وبين الماضي والرابط بيننا وبين المستقبل، إنها السمة القومية الحضارية لأمة عريقة تغالب الزمن.

وقبل هذا وبعده، فإنها لغة التنزيل الحكيم، القرآن الكريم الذي أغناها بمعانيه السامية وزانها ببلاغته الفريدة وحفظها عبر الزمن ونشرها في أرجاء واسعة من الأرض.

أما الفوائد التي يمكن أن تجنى من التعريب فكثيرة منها:

1. المساعدة على تكوين الإنسان العربي تكويناً سليماً، وتحقيق التقدم للمجتمع العربي، وتوطين العلم واستنباته في الوطن العربي ودفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
2. تحقيق الانسجام والتفاهم والتعاون بين أفراد المجتمع بكل فئاتهم وإنهاء التعليم النخبوي وتأكيد مبدأ تكافؤ الفرص وتفجير المواهب والقدرات العلمية والأدبية.

3. تحقيق علمية اللغة العربية بجعلها لغة العلم والتقانة بعد أن تحققت عالميتها بانتشارها الواسع في العالم واعتراف دول الأرض بها لغة حضارية ورسمية في هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها ووكالاتها المتخصصة.

4. تقوية الرابطة التي تصل أبناء الأمة العربية ببعضهم البعض، في أقطارهم المختلفة، وهي الرابطة اللغوية.

إن أمتنا تعيش في ظرف فريد من نوعه، إذ هي أمة واحدة تتوزع في واحدة وعشرين دولة، ولكل دولة منها سلطتها السياسية وخططها الثقافية والتربوية، فليس من آصرة تجمع بينها أقوى من آصرة اللغة والثقافة.

هذا ولسنا أول من يسعى ليجعل للغته المقام الأول في أرضها وبين بنيها، بل كل أمة ترغب في ذلك وتسعى لتحقيقه، ونجح في ذلك أقوام ليس لهم مثل تعدادنا وقدراتنا البشرية والمالية وليس لهم إسهام مثل إسهامنا في بناء الحضارة البشرية... فعل ذلك اليونان والبلغار والرومان وأهل فنلندا وهنغاريا... وفعلت ذلك إسرائيل التي اصطنعتها الصهيونية من جماعات تتكلم بلغات عديدة فأحيت العبرية بعد موات ودرَّست بها العلوم الحديثة بكل أنواعها.

بقي علينا أن نقول إن التعريب وتعريب التعليم بخاصة لا يتعارض البتة مع تعلم الطالب لغة أجنبية أو أكثر لتكون له عوناً في بحوثه ودراساته وطريقه إلى المراجع الموسعة ونافذة منها على الثقافات العالمية. إن التعريب انفتاح لا انغلاق، صعود وتقدم ي المستوى الثقافي لا هبوط أو تأخر فيه...

ثمةشرط واحد هو أن تكون العربية هي القاعدة والأساس واللغة الأجنبية تكون المعين والرديف.

وإذا كان تعليم اللغة الأجنبية بصفة لغة فحسب أمراً مستحباً، فإن تعليم المواد الاجتماعية والعلمية بها في مجال التعليم العام والعالي يسيء إلى الطالب وإلى العملية التربوية برمتها.

4- مجالات التعريب ووسائله:

إن المجالات التي يجب تعريبها متعددة، وتختلف من قطر إلى آخر. وفي دراسة تحليلية لأوضاع اللغة العربية في الوطن العربي وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واستندت إلى معطيات من خمسة عشر قطراً تبين ما يلي:

1. مجال التعليم: يشمل جميع المراحل التعليمية: الابتدائية والاعدادية والثانوية والتعليم العالي. وهذه إشارات إلى مواطن الخلل فيه والتي ينبغي تعريبها:

أ. المرحلة الابتدائية: ثمة مدارس خاصة وتجريبية في /2/

قطرين تعلم المواد الاجتماعية والعلمية فيها بلغة أجنبية.

ب.المرحلة الاعدادية: ثمة مدارس خاصة وتجريبية في /2/ قطرين، تعلم المواد الاجتماعية والعلمية فيها بلغة أجنبية.

ج.المرحلة الثانوية: ثمة مدارس رسمية وخاصة وتجريبية في /3/ ثلاثة أقطار تعلم المواد العلمية فيها بلغة أجنبية.

د.التعليم الفني والمهني: ثمة مدارس للتعليم الفني والمهني في /3/ ثلاثة أقطار، تعلم المواد الفنية والمهنية فيها بلغة أجنبية.

ه.التعليم العالي:

1.العلوم الأساسية تدرس بلغة أجنبية كلياً في ست دول عربية وجزئياً في خمس دول.

2.العلوم الطبية: تدرس بلغة أجنبية كلياً في سبع دول عربية وجزئياً في ثلاث دول.

3.العلوم الهندسية: تدرس بلغة أجنبية كلياً في عشر دول عربية وجزئياً في ثلاث دول.

4.العلوم الاجتماعية والإنسانية: تدرس جزئياً بلغة أجنبية في سبع دول.

2. وإذا فصلنا في مجال تعريب التعليم فلا ننسى المجالات الأخرى: مجال الثقافة والإعلام ومجالات السياسة والإدارة والقضاء والجيش والاقتصاد والمال، والمجالات الاجتماعية والعامة.

إن في جميع هذه المجالات حيزاً تحتله اللغة الأجنبية، في هذا البلد العربي أو ذاك، على حساب اللغة العربية، وحيزاً أكبر تحتله اللهجات العامية على حساب اللغة العربية الفصيحة، وحري أن يعمل التعريب على سد هذه الثغرات.

ولعلنا نتساءل بعد هذا عن وسائل التعريب.

إنها جملة الأعمال والإجراءات التي تلبي احتياجاته، وهذه الاحتياجات يمكن جمعها في خمسة أمور:

1.الكتاب: إن الكتاب الموحد للتعليم العام في اللغة العربية واللغة الأجنبية والمواد الاجتماعية والعلمية عنصر أساسي في

عملية التعريب، شريطة أن يكون مطابقاً للمنهاج التدريسي ويكون جيد المحتوى، حسن الإخراج والشكل.

أما في مجال التعليم العالي فينبغي تأمين الكتاب المنهجي الموحد والكتاب المرجع، الحديث بمضمونه، والمتقن بطباعته والمدقق لغة، بطريقة التأليف أو الترجمة.

2. المصطلح: يحتاج التعريب إلى المصطلح الموحد، في التدريس والتأليف والترجمة، لأن الاضطراب ي المصطلح أو الاختلاف بشأنه بين جامعة وأخرى أو قطر وآخر يضعف الثقة بالتعريب ويشيع البلبلة في اللغة العلمية.

3. المدرس: إن مدرس اللغة العربية ومدرس اللغة الأجنبية في التعليم العام ينبغي أن يكونا حاصلين على المؤهل اللغوي والمؤهل التربوي معاً، ومثلهما جميع مدرسي المواد الاجتماعية والعلمية.

والصعوبة إنما تكمن في التعليم العالي إذ يجب تأمين المدرس القادر على تدريس مادة اختصاصه باللغة العربية. وبما أن بعض الأقطار العربية الأخرى لا يتوافر لها العدد الكافي من هؤلاء المدرسين، فإنها مدعوة لندبهم إليها من الأقطار الأخرى أو العمل علة تحويل المدرسين لمادة ما من التعليم باللغة الأجنبية إلى التعليم بالعربية بإقامة دورات تأهيلية لهم وتشجيعهم على هذا التحول بكل وسيلة ممكنة.

4. التوعية: إن الإيمان بوجود دواع مهمة للتعريب، وبأن له فوائد عديدة وحاسمة في مصير الفرد والمجتمع، لما يساعد على انجاز عملية التعريب التي هي عملية تغيير لواقع قائم. وهذا الحافز المعنوي لا يتأتى المرءَ فجاءةً بل هو ثمرة وعي لأبعاد هذه القضية المهمة.

ولذا كان لا بد من حملة توعية شاملة تستخدم فيها جميع الأساليب الناجعة، فيما يكون السعي للتعريب عملاً يؤيده أبناء الأمة ويسعون لإنجاحه.

5. التشريع والتنظيم: إن دعم عملية التعريب بالتشريعات القانونية ورفدها بالأنظمة اللازمة يعبدان لها الطريق إلى النجاح.

ولا بد لهذه العملية كذلك من آلية عمل تبصر بالمسؤوليات والمهام ويلتقي فيها العمل على الصعيد القطري بالعمل على الصعيد القومي، وترسم له خطة يلحظ فيها التمويل والإدارة والتنسيق وتبين فيها مراحل العمل وتوقيته.

5- التعريب والمصطلح:

إن التعريب يحتاج إلى المصطلح الملائم الموحد، أي المقابل العربي للفظة الأجنبية، الذي يصطلح عليه أهل الاختصاص ويتفقون على استخدامه.

إننا في عصر الثورة العلمية والتقانية، وتدخل ساحة المعرفة كل يوم مصطلحات

جديدة يطلقها المكتشفون والمخترعون بلغاتهم على مفاهيم وأعيان، وما على الآخرين إلاّ أن يتديروا أمرهم!

ولكن هل نؤخر التعريب حتى يتم وضع المصطلحات وتوحيدها؟

إن السعي لإيجاد المصطلحات سعي متصل غير محدود بزمن، ما دامت المعرفة تنمو وتتسع، ومن الخير أن يتم هذا االسعي مع التعريب في وقت واحد، وبالتوازي. لقد درست كليات الطب والهندسة والعلوم بمصر باللغة العربية ستين عاماً (1827-1887) والكلية الإنجيلية السورية ببيروت (الجامعة الأميركية) ثمانية عشر عاماً (1866-1884) ولم يُعقها المصطلح كما أنها لم تتحول إلى التدريس بلغة أجنبية لنقص في المصطلحات بل لأسباب أخرى.

أما المعهد الطبي ومعهد الحقوق بدمشق فقد بدأا تدريسهما بالعربية من بداية عام 1919، دون انقطاع أو تحول، ولم يعقهما المصطلح عن التدريس والتأليف بالعربية والترجمة إليها، إذ بذل الرواد من الأساتذة الجهد الحثيث لوضع المصطلح الملائم ووجدوا في العربية القدرة على استيعاب معارف العصر وتبعتهما بعد ذلك كليات الهندسة والعلوم وسائر الكليات الأخرى.

إن اللغة العربية قادرة على توليد الجديد واحتضان البعيد شأنها شأن الأم الرؤوم، وثمة طرائق استخدمت قديماً وما تزال تستخدم لإيجاد المصطلحات، في مقدمتها الاشتقاق بأنواعه ويليه المجاز فالنحت. فإذا لم تحصل الجدوى، فالتعريب اللفظي جائز عند الضرورة.

إن العمل لوضع المصطلح وتصنيف المعاجم المتخصصة لم يتوقف منذ فجر النهضة العربية الحديثة. وتدل دراسة عما وضع من أعمال معجمية خلال مائة عام (1883-1983) أن العدد بلغ (531) عملاً منها (53) في الطب و(16) في الفيزياء و(26) في الاقتصاد... وقد أسهمت في هذا العمل جهات عديدة: الهيئات والمؤسسات القطرية: مجامع اللغة العربية والجامعات والمجالس العلمية والأدبية والمنظمات العربية المتخصصة والاتحادات المهنية العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ممثلة بمكتب تنسيق التعريب بالرباط.

والقسط الأكبر في هذا المجال هو ما أداه أفراد نابهون لم يوفروا جهداً أو وقتاً، ولم يخشوا سهراً أو عناءً في خدمة لغتهم وإغنائها بالمصطلحات الجديدة.

وبعد فأين سبيلنا اليوم في موضوع المصطلح؟

إننا مدعوون لمراعاة الأسس والمبادئ التالية:

1. النظر إلى الوطن العربي ساحة ثقافية واحدة، تراثاً وحاضراً ومستقبلاً.

2. الربط بين المصطلح وحقول استخدامه: التدريس والتأليف والترجمة.

3. الاعتماد في وضعه على التعاون بين أهل الاختصاص وأهل اللغة.

4. الافادة من الشبكة المصطلحية القائمة الآن في الوطن العربي: مجامع اللغة العربية، مكتب تنسيق التعريب، الجامعات، مع زيادة فاعلية هذه الشبكة وإحكام ترابطها ودعمها بالتقنيات الحديثة.

5. النظر إلى المصطلح من زوايا عدة:

- وضع المصطلح: يترك لمبادرات رجال الفكر والعلم والثقافة والأدب في الوطن العربي.
- تنسيق المصطلح: يتولاه مكتب تنسيق التعريب بالرباط.
- توحيد المصطلح: يتولاه مؤتمر التعريب الذي ينعقد كل ثلاث سنوات بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

6. استخدام المصطلح: يفترض أن يلتزم الأفراد والهيئات باستخدام المصطلح الموحد ولا ضير من التفكير بالالتزام إذا لم نشأ أن تذهب الجهود هباء.

هذا وأرى من الحق أن اللغة العربية والثقافة العربية قد كانتا من اهتمامات رجال النهضة العربية الأوائل ورواد اليقظة الفكرية في العصر الحديث من مفكرين وأدباء وعلماء ودعاة إصلاح وتقدم، بل تمثلت إرادة أبناء الأمة العربية على هذا الصعيد، وفي المستويين القطري والقومي في النصوص الدستورية والتنظيمية الذي تضمنت أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية أو القومية، كذلك تجلت الإدارة في روح ونص ميثاق جامعة الدول العربية المبرم عام 1945 والمعاهدة الثقافية التي أبرمت في العام نفسه، وهي أول معاهدة تبرم بين الدول العربية، وفي ميثاق الوحدة الثقافية ودستور المنظمة العربية للتربية والعلوم المبرمين عام 1964، وفي مقررات المؤتمرات العربية الوزارية وعلى الأخص مؤتمرات المعارف والتربية والتعليم العرب والوزراء العرب المسؤولين عن الشؤون الثقافية وشؤون التعليم العالي والبحث العلمي، وفي نصوص استراتيجية تطوير التربية العربية والخطة الشاملة للثقافة العربية واستراتيجية العلوم والتقانة، هذه الاستراتيجيات التي وضعت بقرار من الدول العربية واشترك في إعدادها المئات من المفكرين والتربويين والمثقفين العرب.

وقطع السعي للتعريب شوطاً عملياً إذ أحدثت أجهزة خاصة لتأمين احتياجاته وأهمها المصطلح والكتاب: مكتب تنسيق التعريب بالرباط الذي يعمل برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منذ عام 1970 لتأمين المصطلح الموحد، والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف النشر بدمشق الذي يعمل منذ عام 1990 برعاية المنظمة العربية المذكورة لتأمين الكتاب المنهجي

والمرجعي بالتعاون مع الجامعات، والمركز العربي للمطبوعات والوثائق الصحية بالكويت الذي يعمل برعاية مؤتمر وزارة الصحة العرب في خدمة تعريب العلوم الطبية.

ومع هذا كله فالخطوات كانت بطيئة والثمرات قليلة... ولكن العزيمة باقية والجهود ما زالت تبذل لبث الوعي وتنشيط الهمم. وتعمل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في هذه الفترة من الزمن لوضع خطة عامة محكمة للتعريب تتضمن آلية لتأمين احتياجاته.

وفي الختام أود أن أنوه بدور سورية العربية الرائد في ميدان التعريب والتمسك باللغة العربية وخدمتها.

إنها البلد الذي أعلى للعربية مقامها ورفع منزلتها وعرف حقها وجعلها لغة التعليم في مدارسه والتدريس في معاهده وجامعاته منذ زمن بعيد، ولغة الإدارة والقضاء والثقافة والاعلام وشتى وجوه الحياة.

وقد ازداد هذا الدور عمقاً واتساعاً، وألقاً وإشعاعاً بعد ثورة آذار المجيدة والحركة التصحيحية المباركة التي قادها الرئيس المناضل حافظ الأسد.

ولئن كان بحق المعلم الأول وراعي العلم والعلماء، فإنه كان كذلك على الدوام حافظاً للغة ومشجعاً للثقافة بكل سبيل.

إن الشعلة، شعلة لغتنا وثقافتنا العربيتين، التي لم تطفئها رياح الاستبداد والقهر، ولم تخفها ظلمات الجهل والجور في العهود الغابرة، ستظل ساطعة متألقة أبد الدهر.